

الحلقة الخامسة والثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كل منا يتمنى لو وُلد في كنف عائلة غنية ومشهورة، ويتمتع برغد العيش والحبوحة. أو لو وُلد في بلد متقدم آخر. لكن الأمر لا يتوقف علينا، إذ لا يختار الإنسان المكان والزمان الذي سيولد فيه، ولا البلد ولا الشعب الذي سينتمي إليه، حتى ولا العائلة التي سيصبح جزءاً منها. لكن لو أُعطي الإنسان الخيار عندما يكبر، لربما اختار بلداً آخر يلجأ إليه، أو عائلة أخرى لكي ينتمي إليها. ولهذا نجد الكثيرين يفرون من بلادهم التي هي في طور النمو، ويلجأون إلى البلدان النامية المتطورة، لعلهم يجدون فيها الأمان والراحة والمستقبل الأفضل.

هل تعلم مستمعي أن هناك وسيلة أفضل من اللجوء إلى بلد آخر؟ وسيلة تنتمي من خلالها إلى عائلة أخرى، وتجعلك تتمتع بالسلام الأكيد والسعادة الحقيقية التي تصبو إليها؟ قد تستغرب هذا الكلام وتقول: وهل هذا ممكن ومعقول؟ إليك صديقي ما دونه لنا الإنجيل المقدس في هذا الخصوص: **فَقَالَ لَهُ - أَيِّ لِلْمَخْلُصِ يَسُوعُ الْمَسِيحِ - وَاحِدٌ: «هُؤَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَأَقْفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». فَأَجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» (بشارة متى ١٢: ٤٦-٥٠).**

لقد فاجأ المسيح سائله عن سؤاله حول أمه وإخوته الذين يريدون أن يكلموه، فاجأه قائلاً: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» وكأنه يتخلّى عن العلاقة العائلية التي تربطه بهم. ثم أشار بيده نحو تلاميذه قائلاً: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي». سنتأمل الآن بإجابة المسيح الهامة هذه.

مستمعي الكريم، لماذا بدا المخلص المسيح وكأنه يتخلّى عن علاقته بوالدته وإخوته؟ للإجابة عن هذا السؤال الهام نقول: إن المسيح بتصريحه هذا لم يتخلّى عن علاقته بعائلته، لكنه أراد التأكيد على حقيقة جديدة هامة. وهذه الحقيقة هي: أن الروابط الجسدية

لم تعد هي الأساس في علاقة الإنسان مع الله خالقه. لقد أعلن المخلص المسيح بهذا التصريح بدء نظام جديد بالكلية، وبدء مفاهيم واعتبارات روحية جديدة. لقد كانت علاقة الله مع الإنسان في العهد القديم عن طريق شعب معين هو شعب إسرائيل. وكان لابد أن يكون المرء من هذا الشعب، أو ينضم إليه لكي يُعتبر من شعب الله.

أما الآن فإن المسيح يعلن انتهاء هذا الوضع، وابتداء العلاقة مع كل إنسان بغض النظر عن أصله وجنسه وشعبه. فالاعتبار الآن هو للعلاقة الروحية مع الله، وليس للروابط الجسدية أو قرابة الدم. إن كل من يؤمن اليوم بالمسيح سيُعتبر من شعب الله ومن أولاده. وسينضم بالتالي إلى عائلة الله الجديدة. لهذا أعلن المخلص المسيح قائلاً: «أَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي». أي أن كل من يؤمن بي سيُعتبر من شعب الله ويكون هو أخي وأختي وأمي. هذه هي العلاقة الروحية المطلوبة اليوم، وليس الرابط الجسدي أو العلاقة العائلية.

وكان المخلص المسيح قد أعلن عندما امتدح إيمان قائد المئة الروماني الوثني: «إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِنُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرَيرُ الْأَسْنَانِ» (بشارة متى ٨: ١١-١٢). أي أن المهم عند الله الآن هو الإيمان بالمخلص المسيح وليس الانتماء لشعب معين. لأن المؤمنين بالمسيح سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها، أي من جميع أصقاع وبقاع الأرض، ويجلسون في ملكوت السموات. أما بنو الملكوت من نسل بني إسرائيل وبسبب عدم إيمانهم سيُطرحون في الظلمة الخارجية.

أجل مستمعي، إن كل من يؤمن اليوم بالمخلص المسيح يعتبر من شعب الله ومن عائلته. فهل هناك من حقيقة أعظم وأجمل من هذه الحقيقة؟ أولاً يرغب كل منا أن يصبح من شعب الله وبالتالي من هذه العائلة الإلهية المقدسة؟ مع العلم أن هذا يعني امتيازات كثيرة لا تُحصى ولا تُعد.

ولقد أكد البشير يوحنا هذه الحقيقة الهامة عندما كتب قائلاً: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ» (بشارة يوحنا ١: ١١-١٣). نعم، إن المسيح جاء أولاً إلى خاصته من بني إسرائيل، لكي يبرئ ذمته تجاههم. وبالرغم من ذلك فقد أعلن بنو إسرائيل رفضهم له كشعب. بينما هدف مجيئه كان هو كل البشر، لأن الله أحب كل العالم. ولهذا إن كل من يؤمن اليوم

بالمخلص المسيح يولد روحياً من قبل الله، ولا علاقة لذلك بأي رباط جسدي.

أما الامتيازات التي يحصل عليها كل من يؤمن بالمخلص المسيح فهي: أن تغفر خطاياها، ويحل روح الله القدوس في قلبه، ويصبح خليفة جديدة. ويملاً سلام الله الذي يفوق كل عقل كيانه، ويختبر السعادة الحقة. وفوق هذا كله يتأكد من نواله الحياة الأبدية في السماء. أي يصبح مواطناً في ملكوت الله الجديد.

إن الإنسان إذن يستطيع عن طريق الإيمان أن يصبح عضواً في هذا الشعب الجديد، وفي هذه العائلة الإلهية المقدسة، حتى وهو مقيم في وطنه، ولا يحتاج إلى السفر لبلد آخر. وعندها تتبدل حياته رأساً على عقب، وتصبح علاقته ضمن هذه العائلة الجديدة أوثق وأمتن من صلته بعائلته حسب الجسد.

ألا ترغب مستمعي أن تنضمّ إلى هذه العائلة الإلهية الجديدة؟ أولاً تود أن تصبح من شعب الله ومن أولاده؟ وأن تحصل بالتالي على كل الامتيازات التي ذكرناها. لما لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي وحده يُدخلك إلى ملكوت الله الجديد، ويجعلك عضواً في عائلته الإلهية المقدسة.